

٧

الهاربُ مِنْ والديهِ

خليل محمود الصمادي

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصمادي، خليل محمود

الهارب من والديه.- الرياض.

١٥ ص، ١٧X ٢٢ سم - (سلسلة قصص من التراث)

ردمك: X - ٩٨٩ - ٢٠ - ٩٩٦٠

١- القصص القصيرة العربية - السعودية

أ - العنوان ب - السلسلة

ديوي ٨١٣,٠١٩٥٣١ ٢٢/١٥٤٧

ردمك: X- ٩٨٩ - ٢٠ - ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٢/١٥٤٧

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

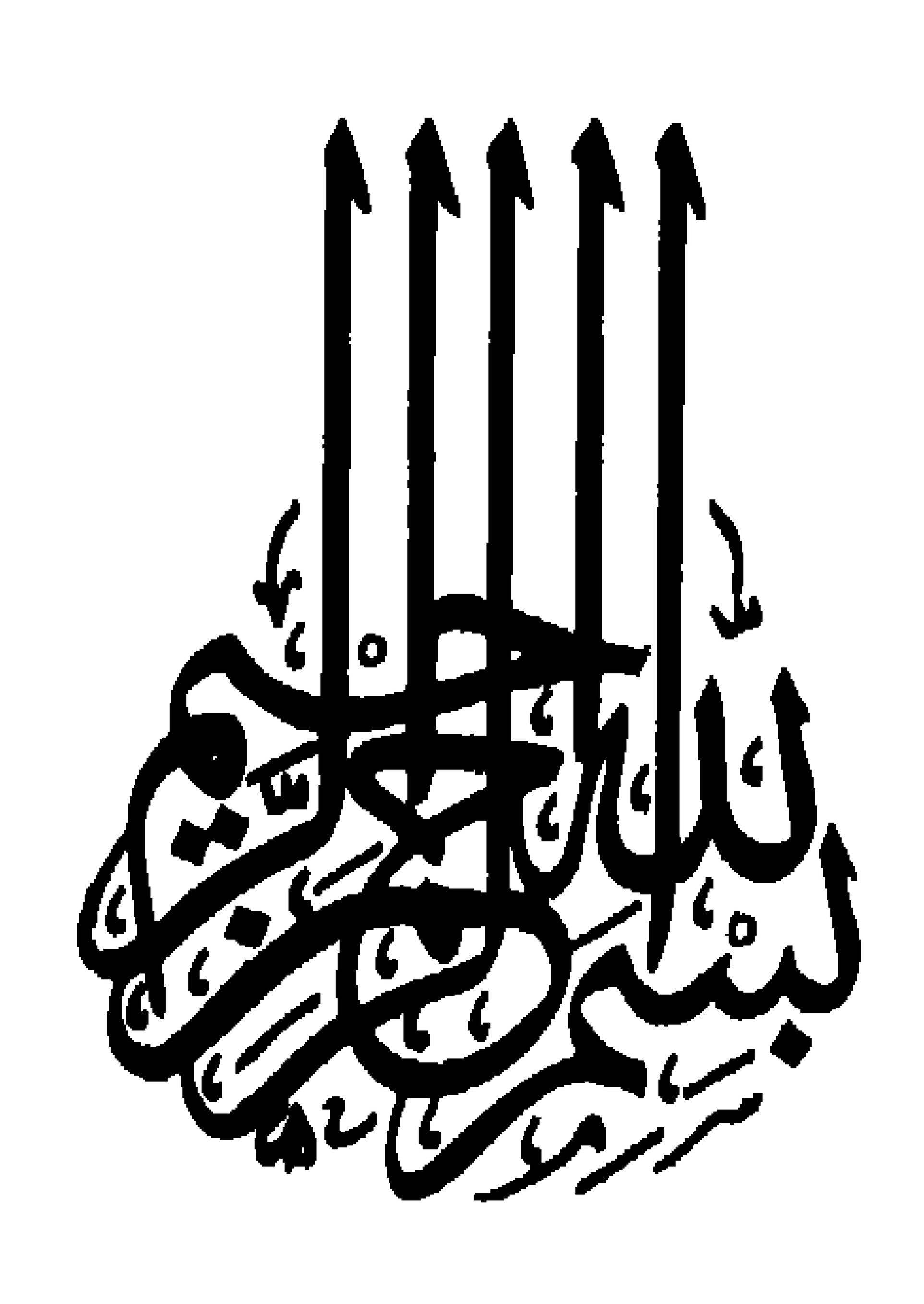
الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩


بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَ بعضُ الفرسِ إلى الكرخِ في العراقِ بحثًا عنِ الرزقِ، وكانَ بعضُهمْ على دينِ النصرانيةِ، وعاشواْ بينَ المسلمينَ حياةً كريمةً لا يضرهمْ شيءٌ، ولمْ يجبرهمْ أحدٌ على اعتناقِ الإسلامِ ﴿**فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ وكانَ مِنْ هؤلاءِ النصارى فيروزُ وزوجتُهُ وابنُهُ الصغيرُ معروفٌ، وقدْ أحبَّا أنْ ينشأ ولدُهُمَا على حبِّ النصرانيةِ، فأخذَ يلقنانهِ مبادئَ الدينِ وهُو لمْ يدرجْ بَعْدُ.

ولـمَّا بلغَ السابعةَ منْ عمرهِ أحب والداه أنْ يتعلمَ القراءةَ والكتابةَ ودينَ النصرانيةِ فأرسلاهُ إلى مؤدِّبٍ نصرانيٍّ افتتحَ مدرسةً لتعليمِ أبناءِ النصارى دينهمْ.

فرحَ المؤدبُ منْ معروفٍ لـمَّا رأى نجابتَهُ وذكاءَهُ، فقد أتقن مبادئَ القراءةِ والكتابةِ في وقتٍ يسيرٍ، فاقَ بها أقرانَهُ، كانَ يذهبُ كلَّ يومٍ إلى مدرستهِ وكثيرًا ما كانَ يصلُ متأخرًا، فقدْ كانَ في طريقهِ كتَّابٌ يعلمُ أبناءَ المسلمينَ القرآن الكريمِ.

كانَ معروفٌ يقف قربَ سورِ الكتَّابِ القصيرِ ويرى الشيخ في فنائه وهُوَ يعلمُ الأولادَ، وكانَ بعضُ الأولادِ أصدقاءه، وكثيرًا ما كان يصغي إلى الشيخِ وهُوَ يتلو القرآنَ الكريمَ ويسمعُ ما يردِدُهُ الغلمانُ، وكانَ يحفظُ كلَّ يومٍ

بعضَ الآياتِ الكريمة، فقدْ حفظَ قولَهُ تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾.

كانَ في بعض الأحايينِ يلوِّحُ لأصدقائهِ ليحييْهمْ، وكانُوا يرفعونَ أيديَهم خلسةً منَ الشيخِ يردونَ عليه التحيةَ.

سَرَتْ آياتُ اللهِ في قلبِ معروفٍ، فغدا غلامًا ذكيًا، جريئًا في قولِ الحق.

وقدْ سببَ لهُ التأخيرُ متاعبَ جمةً منْ مؤدبه، فكثيرًا ما كان يوبخهُ وينهرهُ، ولكنه لم يكن يعلم سبب تأخيره.

ذاتَ يومٍ أخذَ المؤدبُ يلقنُ معروفًا درسًا في الديانةِ النصرانية تقدَّمَ منهُ وقالَ:

قلْ يا معروف: باسم الأب والابن والزوجة

– بسم اللهِ الرحمن الرحيمِ

– ماذا تقولُ يا غلامُ؟

– بسم الله الرحمنِ الرحيمِ

– منْ أينَ تعلمتَ هذا الكلامَ يا ولد؟

- تعلمتهُ من أصدقائي المسلمينَ

- يا غلامُ إنْ لمْ تقلعْ عنْ هذا سأخبرُ والدكَ

- هيَّا قل ثالثُ ثلاثةٍ وزوجه

- قلْ هُو اللهُ أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد

- هَلْ جُنِنْتَ يا ولد؟

- لا بلْ عَقَلْتُ، والحمدُ للهِ

أمسكهُ المؤدبُ منْ تلابيبِ ثوبهِ ودفعَهُ وأخذ ينهالُ عليهِ بالسبِ والشتائمِ

ثم جرَّهُ بعيداً عنِ الأولادِ حتَّى لا يتأثروا بهِ وانهالَ عليه ضربًا وهُوَ يقولُ لهَ: قلْ ثالثُ ثلاثة.

- لا إلهَ إلاَّ الله.

- ماذا تقولُ يا غلامُ؟

- لا إلهَ إلا الله محمدٌ رسولُ اللهِ

لم يصدق المؤدِّبُ ما يسمعهُ، رمى العصا على الأرضِ، وتركَ معروفًا يئنُ

من الوجعِ، وانطلقَ إلى بيت فيروزَ صديقهِ يخبرهُ بالخبر المروّعِ.

– أينَ أنْتَ يا أبا معروفٍ؟

– تفضَّل يا مؤدب الصبيان أهلاً وسهلاً بك.

– أينَ أنْتَ يا أخي، هلْ تدري ما حَصَلَ لمعروفٍ؟

– فزعتْ أمُّهُ قائلةً:

ابني معروف ماذا حصلَ لهُ؟ أخبرنا بسرعةٍ.

لا تقلقي يا أمَّ معروفٍ الولد بخيرٍ ولكنَّهُ..

– أخبرنا ماذا حصل له.

– أظن أنه جُنَّ، أو أصابَهُ مسٌّ، أقولُ لهُ: قلْ: ثالثُ ثلاثهِ، يقولُ: لا إله إلا الله محمدٌ رسولُ اللهِ، ما هذا يا أخي مَنْ يعلِّمُهُ ذلك؟ هلْ دخلتمْ في دينِ الإسلامِ؟

– اطمأنَّ والداه، فقد ظنا أنَّ مكروهًا قد حصلَ له، عند ذلكَ قال فيروز: اهدأ سنتصرَّفُ معَهُ، وسنجعلهُ يعودُ كما تريد وكما هُوَ ديننا دينُ النصارى.

إنه طفل صغير لا يعي ما يقول، والله لقد ساءنا ما فعل.

انتظرَ فيروزُ وزوجتُهُ معروفًا بفارغِ الصبرِ، ولـمَّا دخلَ إلى المنزلِ استقبلاهُ بالسَّبِ واللومِ.

ما هذا الذيْ كنتَ تقولُه للمؤدبِ يا معروف؟

ـ ما قلتُ إلاَّ الحقَ.

ـ ماذا أصابكَ يا بُنيَّ

ـ أصابني الخيرُ الكثيرُ إذْ هداني اللهُ إلى دينِ الحقِ

ـ والدينُ الذي نحنُ عليهِ؟

ـ إنَّهُ دينٌ محرَّفٌ باطلٌ، إنَّ الدينَ عند الله الإسلامُ

ـ منْ علَّمكَ هذا الكلامَ يا معروفُ

اتعلمـهُ في كلِّ مكانٍ، إذا نظرتُ إلى السمـاءِ أعـرفُ أنَّ اللهَ واحـدٌ، وإذا نظرتُ إلى الجبالِ، والنجومِ والبحارِ أرى آياتهِ.

ولَهُ في كلِّ شيءٍ آيةٌ تَدلُّ على أنَّهُ الواحدُ

ـ يا للعجبِ العجابِ، وتحفظ أشعارَ المسلمين أيضًا!!.

حاولَ الوالدانِ أنْ يثنيا ابنهمَا الصغيرَ عنِ الإسلامِ ولكنهما فشلا، هدداهُ

وتوعـداهُ ولكنَّهُ كـانَ أشـدَّ صـلابةً منَ الجبـالِ، بلْ أخـذَ يدعـو والديهِ إلى الإسلامِ، ويثبتُ لَهُما خطأَ ما يعتقدانه. لم يجدِ الأبُ وسيلةً إلا قامَ بها، لكنه فشلَ، ضربَهُ وأهانَهُ وشتَمَه، وأخيراً وبعدَ أنْ عجزَ عنْ ردِّه إلى ما كان عليه، قامَ وحبسَهُ في غرفةٍ صغيرةٍ.

وكانَ ينظرُ إليهِ كل يومٍ من النافذةِ، ويحاولُ معَهُ أنْ يتركَ دينَ الإسلامِ، وكانتْ أمُّه تشفقُ عليهِ، وتناولُه بعضَ الطعامِ والشرابِ، وذاتِ يومٍ وبينما كانَ أبو معروفٍ في عملِه، فتحتْ أمُّه البابَ وأخذتْ تتوددُ لهُ وترجوهُ أنْ يكفَّ عما هو فيهِ، وبعدَ أنْ يئستْ منهُ دخلتْ إلى المطبخِ لإحضارِ بعضَ الطعامِ لَهُ.

نظر معروفٌ إلى بابِ المنزلِ فوجدَهُ مفتوحًا، وبينما أمُّه منهمكةٌ في إعدادِ الطعامِ انطلقَ خارَج البيتِ يعدو تاركًا الكرخَ وراءَهُ، وظلَّ يعدو تارةً ويمشي تارة حتى رأى شجرةً باسقةً فجلسَ تحتها لينالَ قسطًا من الراحةِ، وبينما هو مستغرق في تفكيرِهِ إذ مرَّ عليهِ غلامٌ يكبرهُ قليلاً فقال:

- السلامُ عليك يا أخي

- وعليكمُ السلامُ ورحمةُ الله وبركاتُه.

- أراكَ متعبًا منهكًا هل أستطيعُ أنْ أساعدَك

ـ هل لي أن أتعرفَ إليك؟

ـ اسمي علي بن موسى أَسْكن قريبًا من هنا.

ـ باركَ اللهُ فيكَ يا أخي.

ـ ومن أنت؟

ـ أنا معروف وصلت حالاً من الكرخ.

واستمرَ الحوارُ ساعَةً؛ فعلمَ عليٌّ قصةَ معروفٍ؛ فأعجب به إعجابًا شديداً، وأصرَّ أنْ يصحبَهَ إلى بيتهِ، وأنْ يكونَ في ضيافةِ أسرتهِ، حيثُ أبوهُ إمامُ المسجدِ في المدينةِ.

صحبَ معروفٌ عليًا ودخلا البيتَ، وأخبر أباهُ وأمهُ بقصتهِ فخرجا وسلمًا عليهِ ورحبا بهِ ترحيبًا لائقًا، وقالا له: إنَّ هذا البيتَ بيتُكَ، فأنت واحدٌ منا وسنعاملك كأولادنا.

فرحَ معروفٌ منْ هذهِ الأسرةِ التي عاملتهُ معاملةً حسنةً وازداد فرحُهُ وهُوَ يذهبُ كلَّ يومٍ إلى المسجدِ الذيْ كانَ قريبًا من سكنه وانتظم مع عليٍّ في حلقاتِ العلمِ، يتعلمانِ القرآنَ الكريمَ، والحديث الشريفَ، والفقهَ والتجويدَ وكثيراً منَ العلومِ الشرعيةِ.

مرَّتْ سنتانِ ومعروفٌ مواظبٌ على دروسهِ في المسجدِ وكانَ مسروراً من العلم الغزير الذي تفقه به.

كان والداه في حالةٍ يُرْثَى لها، لقد بحثَا عنْهُ كثيرًا، وتأثرا وندما على ماقامَا بهِ، وكادا يهلكانِ جزعًا عليهِ، وكانا يقولانِ: ليتنا نجده، فلو وجدناهُ لدخلْنَا في الدين الذي هُوَ فيهِ ما دامَ هذا يرضيهِ.

وقد اشتاق معروف أيضا لوالديهِ، وكانَ كثيرَ الدعاءِ لهُما بالهداية، وكانَ مما تعلمهُ في المسجد، قولهِ تعالىَ: ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾.

فسأل شيخه عن تفسيرها، فسرَّه ذلك.

قررَ أن يعودَ إلى الكوخِ، ليرى أبويهِ، علَّهما يدخلانِ في دين الإسلامِ، وإنَّ لم يدخلا فهُو سيصاحبُهما بالمعروف في الدنيا.

ودَّعَ معروفٌ أبا علي وأسرتَهُ وقد أصرُّوا على أن يرجع إليهمْ بعد أن يطمئن على والديه وأحضروُا لهُ حمارًا ليحمله إلى الكرخِ وأعطوهُ بعض الطعام وقربةَ ماءٍ ودعوا لهُ بالتوفيقِ والثباتِ.

ركبَ معروفٌ الحمارَ بعد أنْ شكرَ أبا عليٍّ وأسرتَهُ وصديقه عليًا، وسارَ حتَّى وصلَ الكرخَ قبلَ أذانِ العشاءِ، اقتربَ من بيتهِ وطرقَ البابَ.

صاحَ الوالدانِ بصوتٍ خافتٍ: منَ الطارقِ؟

- أنا معروفٌ

- معروف أين أنتَ يا بُنيَّ؟

- إنني هنا أطرقُ البابَ

- على أيِّ دينٍ أنت؟

- على دينِ الإسلامِ أمَا تعلمانِ؟

- ادخل فنحنُ على دينك يا بنيَّ.

دَفَعَ معروفٌ البابَ وهُرِعَ نحو والديهِ معانقًا وذرفتْ دموُعُهم فرحًا وأخذَ معروفٌ يقولُ: الحمدُ للهِ الذي جمعَ شمْلَنا على الهُدَى.

وهكذا كانتْ طفولةُ معروف الكرخي الذي فرَّ بدينهِ قويًا شامخًا وهو غلامٌ صغير. وتابع مسيرته في طلب العلم حتى غدا شيخًا كبيرًا يشارُ لهُ بالبنانِ.

وعلَّم والديهِ أصولَ الدين كما كانَ يعلِّمَ الناسَ في المساجِد، ولم ينس عليًا وأباه وامه، فكان يزورهم كلما سنحت له الفرصة واشتهرَ بالورعِ

والتقوى وكانَ مشهوراً بإجابةَ الدعوةِ.

كانَ ذاتَ يومٍ قاعداً على شطٍّ نهرِ دجلةَ معَ بعضِ أصحابهِ، فمرَّ بهمْ صبيانٌ في زورقٍ يصرخونَ ويتمايلونَ وقد أُغْرِقوا بالملاهيِ، فقالَ لهُ أصحابُهُ: أما تَرى هؤلاءِ يعصونَ اللهَ تعالى على هذا الماءِ؟

- وماذا أملك لهم؟

- ادعُ عليهم.

رفعَ معروفٌ يديهِ إلى السماءِ وقالَ: إلهي وسيدي كما فرحتهم في الدُّنيا أسألُكَ أن تفرِّحَهمُ في الآخرةِ.

فقالَ لهُ أصحابُهُ: إنَّما سألناكَ أنْ تدعوَ عليهمْ ولمْ نقل لك ادعُ لهمْ فقالَ:

إذا فرَّحهم اللهُ في الآخرةِ تابَ عليهمْ في الدُّنيا ولمْ يضرَّكمْ ذلكَ.

وبعد أيامٍ شوهدَ الصبيان يدخلونَ المسجدَ تائبين آيبين إلى الله عز وجل وقد دهش أصحابُه من سرِّ هذه الدعوة المباركة.

عاشَ حياتَهُ متقشفًا زاهدًا، يتصدَّقُ بكلِ مايصلُ إليهِ للفقراءِ

والمساكينِ، وقيلَ لَهُ في مَرضهِ أَوْصِ، فقالَ إذا متُّ فتصدقوا بقميصي هذا فإني أحبُّ أنْ أخرجَ منَ الدنّيا عُرْيانا كَمَا دَخَلتُها عُرْيانًا.

رحمك الله يا معروف الكرخي وجعل مأواك الجنة.